الباحث الأمريكي روب سبحاني الف كتاباً عن خادم الحرمين الشريفين ويقول:

الملك عبدالله قائد إصلاحي وإنساني له تأثير على العالم

بقلم/ حماد السالمي

صدر مؤخراً في العاصمة الأميركية واشنطن، وجرى عرض موسع له، في ندوة حوارية أستضافها قبل أيام قلائل مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية في واشنطن، حيث كان الباحث يتحدث وسط حضور مكثف من المهتمين بالسياسة الدولية والشرق الأوسط.

هذا عنوان الكتاب: (King Abdullah Of Saudia Arabia A leader Of Consequence) ويجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم.

والباحث (روب سبحاني) لم يكن باحثاً مكتبياً، ولم يتناول شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ولا سياسته في إدارة دولته، بالمراسلة أو عن بُعد كما يفعل بعض الباحثين، ولكنه قال في كتابه هذا إنه كان في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٧م؛ فزار العاصمة الرياض، وزار معها ست مدن سعودية، منها الطائف والدمام والخبر، وأنه تحدث إلى سعوديين وسعوديات من شرائح مختلفة؛ فوجد أنهم يُجمعون بالكامل على أهمية التغييرات التي أحدثها الملك عبدالله بن عبدالعزيز في دولته، والتي بدورها قادت إلى إصلاحات جوهرية على مستويات عدة، ذكر من أهمها :

الحوار الوطني الذي أطلقه عبدالله بن عبدالعزيز في بلاده، وأنه كان (هدية من الله عز وجل)، إن فسحة الحوار - كما يقول سبحاني - التي وفرها الملك عبدالله داخل المملكة ستكون بالتأكيد واحدة من أهم ما سيكتبه له التاريخ.

لن أقول كما يقول بعضهم، مستشهداً بهذا المثل العربي، في الزمان الخطأ والمكان الخطأ: (الحق ما شهد به الأعداء)، ولكن: (الحق ما شهد به الأصدقاء)، خاصة المنصفين منهم، فلماذا لايكون الحق إلا في شهادة عدو، بينما قد يأتي هذا الحق أجمل وأفضل وأكمل في شهادة صديق..؟! إنّ في هذا العالم أجمع، باحثين ودارسين ممن لا همّ لهم ولا شغل إلا البحث عن الحقيقة، ولهذا نجد منهم مَنْ يتغرب في طلبها، وسبحاني ينقل في كتابه هذا الكثير من مشاهداته ومرئياته وسمعياته، ويعرض استنتاجاته، ويبرز وجهات نظره، بعد زيارة فعلية للمملكة، وبعد أن التقى عدداً من مواطنيها في مدن عدة؛ لهذا تكتسب آراؤه في هذا الكتاب مصداقية أكثر وأوفر، خلاف مَنْ يكتب عن بلاد وقادة لم يعرفهم إلا من خلال ما ينشر عنهم في مصادر ووسائل إعلامية.

يقول الباحث: (الملك عبدالله ملك مختلف، وصانع سلام، وهو وطني عربي مسلم، وأنه يريد معاملة الناس بشفافية وعدل ومساواة، وأنه استطاع أن يغير لهجة وفحوى النقاش في العالم العربي والإسلامي، وأن يفتح حواراً جريئاً في الداخل، وما يفعله من أجل فلسطين والعراق واليمن وأفغانستان هو أمر مهم، إلى جانب جهوده في السعي لتعافي الاقتصاد العالمي).

إن أكثر ما لفت نظر الباحث في شخصية الملك عبدالله، إلى جانب تبني سياسة الحوار، هو نجاحه الباهر في التصدي للتطرف، ومحاربة الإرهاب، وكذلك دوره في أمن الطاقة ومستقبل الاقتصاد العالمي.

يقول: (ما يقوم به الملك عبدالله مهم للعالم، وله تبعات، سواء في أمن الطاقة أو محاربة المتطرفين، أو مستقبل الاقتصاد العالمي)، وانطلاقاً من هذا الدور المحوري للملك عبدالله يقرر الباحث أن الملك عبدالله ملك فريد، فهو يقود دولة مهمة، تستحوذ على أكبر احتياطي نفطي، ولها ثقل كبير في العالمين العربي والإسلامي، وهي موطن الحرمين الشريفين. من الصور البالغة الدقة للباحث، في فحص السياسة السعودية التي يقودها الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله قوله: (إن هذه السياسة تجعل الملك عبدالله ملكاً فريداً للسعودية في الوقت الحاضر؛ لأنه انتهج سياسة الحوار في الداخل والخارج - في إشارة إلى الحوار الوطني وحوار الحضارات والأديان - وأنه تحدى بكفاءة وشجاعة المتطرفين، وأنه استخدم خطابهم ضدهم، وأنه حقق لبلاده قيادة محور الاستقرار في الشرق الأوسط، وأنه رفع درجة الشفافية بتحقيق إصلاحات مهمة، وأنه شرع في بناء التعليم العام والعالي على أسس قوية ومتطورة).

وعندما يصل الباحث إلى الدور الدولي للمملكة، يقول: (إن عبدالله بن عبدالعزيز، هو صانع سلام، فهو الذي صاغ وعرض مبادرة السلام العربية في قمة بيروت عام ٢٠٠٢م، وهو الذي حاول الصلح بين فتح وحماس في مكة

قبل أعوام عدة).

وعندما يأتي الكلام على الإصلاحات الإدارية والتنظيمية فإن الباحث يشير إلى ملمح مهم في سياسة الملك عبدالله في هذا الاتجاه، فهو: (يعتمد على كفاءات وطنية من التكنوقراط المتعلمين في إدارة شؤون البلاد)، ثم ضرب مثلاً بالأمير فيصل بن عبدالله بن محمد وزير التربية، والأستاذ عادل الجبير سفير المملكة في واشنطن، والدكتورة نورة الفائز نائبة وزير التربية والتعليم.

الكتاب الذي يقع في (١٩٠ صفحة)، حجم كبير، يحمل الكثير من الآراء المنطقية؛ لأنها مسنودة بمعايشة واقعية، وعين فاحصة، ودراسة ميدانية، ونحن نعرف هذا في ملكنا المظفر (عبدالله بن عبدالعزيز) من قبل هذا البحث ومن بعده، ونشعر بسعادة أكبر حينما نعرف أن في هذا العالم الكبير مَنْ يعرف الحقيقة ويجهر بها، ومن يقدر دور المملكة، ويدرك مكانتها، ويزن ثقلها، ويثمن جهود قادتها وأبنائها، في ترسيخ دعائم السلم العالمي، ومواجهة التطرف، ومجابهة الإرهاب، وملاحقة المتطرفين والإرهابيين، خاصة أن السهام تلاحقنا وتنال منا، كلما نبا من بيننا مَنْ يحرض على سفك الدماء، أو يدعو لقتل النفس التي حرم الله؛ فالتكفير صنعة للمكفرين، وذريعة للمفجرين، وما أكثر الذين يخربون في ديارهم، ويهدمون أوطانهم، يفعلون ذلك بأيديهم لا بأيدي أعدائهم، حتى ضاعت جهود المصلحين، بين حشود الغوغائيين المتذرعين بالدين.

الملك عبدالله حفظه الله ملك مؤثر في الداخل والخارج، وقد خلق لدولته ولشعبه ريادة وقيادة، في المحافل الإقليمية والدولية كافة، فهو القائد المحنك، الذي غالباً ما ينهض بدور الطبيب الذي يداوي الجراح النازفة هنا وهناك، ولكن: كم أداوي الجرح.. قلّت حيلتي كلما داويت جرحاً سال جرحٌ ولكم أدعو ومالي سامعٌ فكأني عندما أدعو .. أبحُّ.

أكد باحث أمريكي أن كل ما يفعله خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود من خلال مواقفه الثابتة وقراراته الحاسمة في مختلف القضايا وفي جميع المجالات يكون له دائماً تأثير لايمكن إغفاله على المديين الطويل والقصير.

وقال: إن خادم الحرمين الشريفين يتميز بشخصية مختلفة ومتميزة عن كل ما رأيناه ونراه في عالمنا المعاصر، جاء ذلك في ندوة للحوار أستضافتها العاصمة الأمريكية واشنطن في ربيع الأول ١٤٣١هـ في مقر المركز الأمريكي للدراسات الإستراتيجية والدولية بمناسبة توزيع كتاب بعنوان: (الملك عبدالله بن عبدالعزيز القائد المؤثر .. قائد وتبعات) الذي ألفه الباحث الأمريكي ورئيس مركز قزوين لاستشارات الطاقة روب سبحاني عن شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز من مختلف الجوانب كقائد سياسي وقائد إصلاحي وقائد إنساني وقائد اجتماعي له تأثير لايمكن إغفاله في تلك المجالات على المستويين الداخلي والخارجي.

وقال الكاتب في تقديمه للكتاب: إن ما دفعه للكتابة عن شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز وهو مواطن أمريكي كان من متابعته لعدد من المواقف الحازمة للملك عبدالله بن عبدالعزيز التي لايمكن لأي متابع مهما كانت خلفيته أو توجهاته إلا أن يخرج منها بنتيجة واحدة هي أن هذا القائد يتميز بشخصية مختلفة عن كل ما رأيناه ونراه في عالمنا المعاصر ولذلك فإنه لابد كذلك وأن تكون له بصمة واضحة في مواجهة القضايا والمواقف المؤثرة

التي يواجهها كقائد على المستوى الداخلي في المملكة أو على مستوى القضايا الإقليمية والإسلامية والدولية.

وأشار إلى أن من تلك المواقف التي رآها شخصياً كان موقف الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال مؤتمر قمة دول الأوبك عام ٢٠٠٧م عندما بدأ المؤتمر ومن خلال كلمات ومواقف بعض القادة يخرج عن هدفه الأساسي موضحاً أن الملك عبدالله تمكن وبكل بساطة ولكن أيضاً بكل حزم من إعادة الحوار إلى مساره والمؤتمر إلى هدفه الأساسي وفي لحظات.

كما أشار إلى أن من بين تلك المواقف كانت كلمته أمام اجتماعات الحوار الإسلامي في مكة المكرمة عندما أطلق من هناك بداية جديدة للعالم الإسلامي وغير اتجاه الحوار الذي كان سائدا في العالم الإسلامي إلى اتجاه إيجابي لم يكن لأحد غيره أن يقوم به.

وقال: إن من بين المواقف المميزة كذلك والتي حفزته على تأليف الكتاب والتي لايملك إلا الإعجاب بها موقف التحدي الشجاع الذي وقفه الملك عبدالله ضد التطرف والمتطرفين، والذي أكد لهم أنهم أمام قائد شجاع لايخاف أو يتراجع أمام شرورهم وأفكارهم التي لايمكن أن تمثل بأي حال من الأحوال العقيدة الإسلامية الصافية السمحة.

وأضاف الكاتب: إن تلك المواقف وغيرها الكثير في شخصية الملك عبدالله بن عبدالعزيز أكدت له وبدون أدنى شك أن كل ما يفعله الملك عبدالله له تبعات وتأثيرات على مختلف المستويات موضحاً للحاضرين أن بعدهم عن المملكة العربية السعودية ومنطقة الشرق الأوسط لايعني أبداً أن ذلك التأثير لايصل إليهم أو لن يصل إليهم ممثلاً على ذلك بمواقفه - حفظه الله - في دعم وتأكيد أستقرار أسواق الطاقة العالمية التي يصل تأثيرها إلى كل شخص وفي كل ركن من أركان العالم في مواجهة التوجهات الأخرى التي لاترى إلا مصالحها القصيرة المدى.

وأفاد أن زياراته للمملكة وإطلاعه عن كثب على البرامج الإصلاحية التي قام بها الملك عبدالله بن عبدالعزيز والتحولات التي تعيشها المملكة حالياً في ظل قيادته، أكدت له كذلك أن ذلك القائد وكل ما يفعله هو شيء فريد ومميز ممثلاً في ذلك بحالة الشفافية التي يعيشها القطاع المالي السعودي والتي نتج عنها نمو اقتصادي غير مسبوق في المملكة.

وقال الكاتب: إنه ركز في كتابه عن الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي استغرق في كتابته عامين ونصف العام على ستة محاور:

- أولها: الأهمية التي أعطاها الملك عبدالله بن عبدالعزيز لفتح مجال الحوار داخل المملكة العربية السعودية، وبين مكونات المجتمع السعودي والتي أدت إلى تغيير الكثير من المفاهيم والتوجهات وكذلك مبادراته لإطلاق الحوار على المستوى الخارجي في مختلف القضايا والتي كان من أهمها مبادرته العالمية للحوار بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة.
- ثانيها: منحه ودعمه لأصحاب الرؤى والأفكار المبتكرة للإسهام في تحقيق إنجازات جديدة للمجتمع السعودي مع تمسكه بالالتزام بمبادئ العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية التي تقوم عليها المملكة العربية السعودية.
- ثالثها: تقدمه الصفوف والأخذ على عاتقه الوقوف في مواجهة التطرف والمتطرفين في شجاعة ليس لها نظير وليس لها سابقة الأمر الذي قلب شرورهم عليهم.
- رابعها: الدور القيادي في توجهات وسياسات المملكة التي رسمها لها الملك عبدالله بن عبدالعزيز عنصراً أساساً للاستقرار في منطقة الشرق الأوسط والعالم وبوصفه محباً وصانعاً للسلام ممثلاً على ذلك بدوره - حفظه الله - في جمع الفرقاء الفلسطينيين وغيرهم من قادة الفرقاء في مختلف مناطق النزاع في العالمين العربي والإسلامي في المملكة للحوار ورأب الصدع والتمسك بالسلام لما فيه خير دولهم وشعوبهم وممثلاً كذلك بمبادرة السلام التي أطلقها شخصياً عندما كان ولياً للعهد ثم قدمها لقمة بيروت العربية لتصبح مبادرة السلام العربية التي تعد الآن عنصراً أساسياً في عملية السلام العربية الإسرائيلية وخياراً جدياً أمام الطرف الآخر إذا ما كان راغباً في السلام.
- خامسها: الجهود الإصلاحية والخطوات الإصلاحية التي قام بها الملك عبدالله في مختلف المجالات داخل المملكة العربية السعودية التي تميزت بالشفافية الأمر الذي أعطى الثقة في المملكة العربية السعودية وسياساتها في مختلف المجالات بما في ذلك المناخ الاقتصادي والاستثماري الذي دفع بحجم الإستثمارات في المملكة للارتفاع إلى أرقام قياسية، مشيراً إلى حجم المساعدات الإنسانية والإغاثية التي تقتطعها المملكة العربية السعودية من ثروتها لتقديمها للمحتاجين في أي مكان في العالم بغض النظر عن الخلفيات. - سادسها: تأكيد الملك عبدالله بن عبدالعزيز على أهمية التعليم وتنمية وتأهيل الإنسان السعودي، مشيراً في هذا الصدد إلى الإصلاحات الواسعة في نظام التعليم سواء للذكور أو الإناث والحجم الكبير من الجامعات والمدارس والمؤسسات التعليمية التي تم إنشاؤها وبناؤها منذ توليه الحكم والتي يصل مستواها إلى مصاف أرقى المؤسسات التعليمية في العالم، وكان آخرها جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية التي ستكون عند اكتمال برامجها واحدة من أرقى مؤسسات التعليم الجامعي في العالم بالإضافة إلى برنامجه للابتعاث الخارجي الذي استفاد منه آلاف الشباب السعوديين.